علي كنعان

كانت لدينا مخاوفنا .. ولم نخسر غيرها بالحرب

سألني مقاتل في استراحة قصيرة : « واين الشعر ؟ » ، واليه، هذه الرسالة من بعيد :

انا الآن لست شاعرا ، انا الآن جندي في القطاع الاعلامي من الحرب العنيفة الشاملة التي تخوضها الطليعة المقاتلة من امتنا . هناك اخوة واحباب لنا يقاتلون ، هذا يعني انهم يكتبون بنيران اسلحتهم ميلاد امتهم وانتصار ارادتها ، بعد ان ضمدوا كرامتها الجريحة وساروا قدما في طريق التحرير .

امام اولئك الاحبة الابطال يقف الاديب خجولا من قلمه وكلماته .. فالقول الفصل والكلمة الحاسمة لهم ، للمقاتلين الاشداء .. وحسب كلماتنا ان تمجد البطولة وتتغنى بها .

أول الغيث المنهمر من ايدي المقاتلين ، ان احزان الشعر الحزيراني انتهت الى غير رجعة ، تلك المرحلة احترقت وتناثرت كشظايا الطائرات المعادية في سمائنا . نحن الآن امام ميلاد جديد ، طالما تخيله الشعراء المستقبليون والحوا عليه في قصائدهم واحلام يقظتهم .

لا شك ان الملاحم البطولية التي يقوم بها المقاتل العربي في هذه الايام سوف تستاثر بجهود أدبائنا واهتماماتهم الابداعية على مدى اجيال واجيال ، والذي يهمني الآن .. في هذه اللحظات وهذه الايام ، أن أترجم شيئا من بطولات المقاتل العربي الى كلمات . واطمح ان ترتفع هذه الكلمات الى مستوى الثقة التي يضعها ابناء شعبنا بمستقبل امتهم ، ومستوى المحبة والثقة بالمقاتلين الذين يرسمون هذا المستقبل مفعما بالحرية والامن والازدهار .

في الماضي ، كنا نعجب ونتعجب كيف صنع الفيتناميون من حطام الفانتوم خواتم وامشاطا وأساور ، ولكن المقاتل العربي استطاع ان يسقط من طائرات العدو ومن الفانتوم بالذات ما يكفي لتشغيل اكثر من مصنع لالعاب الاطفال العرب .

ما أود قوله هنا هو اننا لاول مرة ، وبعد اكثر من ربع قرن ، أقول : اننا لاول مرة نشعر بالفرح الحقيقي وبالاطمئنان الحقيقي ، وبالكرامة المعافاة .. كما نشعر بان الامن الذي افتقدناه في طفولتنا وشبابنا قد استعدناه الآن ولن نتخلى عنه ، أيا كان الثمن .

قبل هذه الحرب كانت لدينا مخاوفنا الصغيرة او الكبيرة .. واليوم ، وبعد حوالي أسبوعين من القتال البطولي ، نشعر باننا لم نخسر الا تلك المخاوف .. واننا ربحنا الكثير ، ربحنا الامل بالحياة والثقة بالمستقبل وربحنا الارادة الحرة في مواصلة القتال حتى النصر والتحرير .

الثورة ١٨ تشرين الاول

ظهور المقاتل العربي

منذ أكثر من ربع قرن ، والعدو راكب رأسه ورؤوس القوى الامبريالية التي ساعدته في الاستيطان والامتداد فوق الارض العربية، وطوال هذه السنين صدرت عن المنظمة الدولية قناطير القرارات التي لم يكترث لها العدو ولم يلتزم باي شيء منها لا ينسجم مع طبيعته في التوسع والتمادي والعدوان ...

لكن اشياء جديدة هائلة انبثقت في حياتنا من خلال الحرب .. وهذه الاشياء المجيدة أدهشت العالم واستأثرت باعجابه ، كما فاجأت العدو وأصابته بصدمة موجعة دفعته مرغما الى ان يعيد النظر في مواقفه وحساباته .

أول هذه الاشياء الرائعة وأساسها جاء من ساح المعركة :

الجندي العربي يثبت بعنف واستبسال انه مقاتل عنيد قادر على نمزيق الهالة الاسطورية التي أحاط العدو بها نفسه وكرستها له هزائمنا في الحروب السابقة دون قتال يذكر .. وكان لتمزقنا القومي اثره البالغ في صنع تلك الهزائم وتحويلها الى أمجاد خرافية للعدو ..

وحين تتاح للعربي فرصة حقيقية للقتال يحطم الاساطير والخرافات ويصمد في الساحة الدامية بطلا يتحدث العالم مأخوذا بشجاعته وقوة احتماله .

وبطولة المقاتل العربي في خطوط النار انتقلت الى الجبهة الداخلية ، فاذا بشعبنا كله يقف قلعة صلبة وراء مقاتليه ، ويولد الشعب كله بطلا صامدا يفرش طريق التحرير بأغلى ما يطلب من التضحيات الجسام .

وبسالة المقاتل العربي خلال هذه الاسابيع جعلت الامة كلها تستنفر وأيقظت فيها روح الجد والبذل والاستشهاد ، روح البطولة الهاجعة تحت ركام عصور من الضعف والتردد والانكفاء .

ويستيقظ العالم كله على أنباء الملاحم البطولية للمقاتل العربي، فتنهمر برقيات التأييد بوفرة لم تحلم بها طوال السنين الماضية .. فكان لكل يوم من القتال وزن سنين طويلة من التهافت والدروشة والاستجداء !

ان ظهور المقاتل العربي في هذه المنطقة فرض نفسه وبحدة .. حتى على الاعداء الطامعين بثروات أرضنا وبحارها وموقعها الفريد . الاعداء يخافون ظهور هذا المقاتل ، يخافون تاريخه الحضاري المشرق ، ويخافون اكثر ان يبعث ذلك التاريخ بأمجاده القتالية وأخلاقه الفروسية من جديد .. لان القتال لن يقتصر على تحرير الارض بل سيمتد الى تحرير الحياة كلها ثقافة واقتصادا وأرضا ومستقبلا .

وفي ضوء الاشياء الجديدة التي رافقت ظهور هذا المقاتل العربي ، يمكن ان نفهم أبعاد التحرك الاميركي وخلفياته .. فلاول مرة في تاريخ الامبريالية الاميركية تخاف ان تبتلع النار مصالحها وجيوبها في المنطقة كلها ، ولاول مرة تلجأ الى المنظمة الدولية بعد أن شلت هذه المنظمة وأبطلت فاعليتها طوال السنوات الماضية .

وهنا تدخل الحرب مرحلتها الاصعب ..

فالعدو اشتهر بالاراوغة لالتقاط الانفاس ومعاودة الغدر . ومن هنا يترتب علينا ، في خط النار وفي الخطوط الداخلية ، مهام أكبر وجهود مضاعفة .

مقاتلنا البطل أعاد عسكر العدو الى حجمه الطبيعي ، ولا بد ان نبقى في غاية اليقظة والحذر والتصدي لئلا ينتفخ حجمه من جديد ويستطيل .. وعلينا ألا ننسى انه اتخذ ذلك الحجم الخرافي من ضعفنا وتمزقنا وتأثرنا بدعايته المسمومة .

ان مسؤوليتنا جميعا أن نرعى تلك الاشياء العظيمة الرائعة التي ملأت حياتنا في ظل القتال ، وأن نغذي ينابيع الخير والشجاعة

التي انبثقت من أعماق شعبنا ونزيدها تدفقا واكتمالا .

فالعدو الذي فقد مجده الامبراطوري واساطيره الخادعة في ساحات القتال ، يحاول ان يستردها او يستعيض عنها بحربه النفسية والاعلامية . واذا كانت نكسة حزيران قد أضعفت مقاومتنا لحملات الدعاية والتشكيك والتضليل ، فان حرب رمضان قد شحنتنا بمناعة قوية مدعمة بالبطولات والتضحيات المعلقة وساما متوهجا فوق كل بيت وعلى كل جبين .

ولكي نظل جديرين بالانتماء الى مجد هذه الامة وعظمتها ، فعلينا ان نحافظ على هذه الاشياء الجديدة الرائعة التي ظهرت في حياتنا من جديد .. مع ظهور المقاتل العربي الذي فرض محبته واحترامه على العالم .

الثورة ٢٥ تشرين الاول

ويمتزج الدم العربي فيصنع المعجزات

أغلى ما توارثنا عن الجدود : أرض هذا الوطن .. وقطرة الدم المتسلسلة من جيل الى جيل في مواسم المحبة والفرح والكفاح .

وعلى امتداد التاريخ ، ما تعانق الدم العربي وامتزج بتراب الوطن الا ليصنع تحولا عظيما ويبني بالعجينة السحرية الجديدة ، وعلى أساسها ، صرحه المستقبلي الواعد . وفي أرض تشرين ، والقتال المبارك على أشده ، تعانق الدم العربي وامتزج بشوق واعتزاز ومحبة راسما الطريق الى الوحدة والتحرير ، جارفا كل الصعاب والامراض والمعوقات التي حدت من طموح هذه الامة وحالت دون وصول المسيرة الدائبة الى أهدافها القومية الكبرى .

لقد كان الدم نور الحضارة وصانع المعجزة التاريخية في حياة أمتنا .. وسيظل كذلك حتى المدى .

منذ وقعة الفيل وذي قار حتى يومنا هذا ، لم تنغلق أبواب الحياة في وجه العربي وتسد الدروب الا وكان الدم ، الدم القومي المتحد ، هو المفتاح السحري الذي يبدع الخوارق ويصنع الاعاجيب فتعود الحياة أبهى ما تكون ويعم الامن والبهجة كل النفوس ..

والمقاتلون العرب ، بجراحهم وتضحياتهم وبطولاتهم استطاعوا أن يرجوا العالم الراكد المطمئن فينتبه بحدة وتركيز الى هذه المشكلة الدموية التي كادت تتحول الى مستنقع عدواني موبوء ويتسع ويطغى على مر الايام ، كما استطاعوا بكفاحهم الدامي ان يحدوا من خطر هذا المستنقع الصهيوني ، وان يمدوا جماهير شعبنا العربي بمناعة قوية ضد سمومه وأخطاره .

وملاحم البطولة التي صرنا نسمعها عبر لقاءاتنا القصيرة مع بعض المقاتلين ، او من خلال زيارات خاطفة للجرحى ، هذه الملاحم كلها .. كان الدم العربي الغاضب يقف وراءها ، وما يزال .

وهذا الدم الغالي ، حين استرخصه الابطال فداء لحرية أمتهم واستردادا لعزتها وانتصارها ، هذا الدم الغالي .. هو صانع هذه التحولات الكبرى في حياتنا وسلوكنا وتفكيرنا ، ومنه انبثقت الينابيع الكامنة في أعماق النفوس ، ينابيع الخير والحب والشجاعة والعمل الدؤوب .

وأمام هذه الينابيع والتحولات ، علينا مسؤوليات جسام ... ليتابع النبع مجراه في نهر متدفق غزير ، ولتأخذ التحولات مسارها المتقدم في شتى المجالات . وبقدر ما نخلص ونعمل ونتعب لتشق الينابيع طريقها وتتعمق التحولات في واقع الحياة وداخل النفوس ، نكون أهلا للجراح التي أضاءت دنيانا من جديد ونكون أهلا للانتماء الى تلك الدماء المباركة التي غيرت كل شيء في حياتنا وغسلت نفوسنا وبيوتنا وأحاديثنا من رواسب الخيبة والكآبة والهوان .

لقد تغنى الشعر العربي طويلا باليوم الذي يجمع العرب أمة واحدة تبطل أسطورة المستحيل وتجترح المعجزات العظام . وجاء هذا اليوم في تشرين ، جاء به الدم العربي الذي عانق الارض وامتزج بالتراب ، مؤكدا ان الطريق الى الوحدة هو طريق التحرير .. وان الطريق الى التحرير ، تحرير الارض والثروات والنفوس ، هو طريق وحدتنا القومية .

ولمجد هذا الدم الزكي الغالي .. علينا ان نغني ونعمل ونتابع المسيرة . وللاشراقات التي سطعت من هذا السرج النوراني الخالد .. علينا ان نظل متحفزين ساهرين : العيون مفتحة على اتساع الافق ، والايدي على المعاول والاسلحة ، والنفوس ممتلئة بالعزم والبهجة والاستعداد لمجابهة كل طارىء .. فتاريخ العدو كله غدر وعدوان ، والاشياء الجديدة الرائعة في حياتنا دفع الابطال ثمنها غاليا ... وعلينا ان نصونها ونزيدها محبة واشراقا ونغذيها بضوء العين ومداد القلب .

الثورة ٢٩ تشرين الاول

حسيب الكيالي

رسالة الى المقاتل العربي

ولدنا الحبيب ،

نكتب اليك ونحن راضون مطمئنون . أنت الذي أدخلت الرضا والاطمئنان الى قلوبنا بوقفتك الجسور المشرفة . اننا نتتبع أخبار انتصارك . وقد جاء أمس أحد اخوانك من الجبهة فالتم عليه أهل الحارة . حكى لنا اشياء جعلت الحي كله في عيد . حدثنا عن طائرات العدو كيف تتساقط ، عن حذقكم في استخدام سلاحكم ، عن رجولتكم وتصميمكم على النصر . وحكينا له نحن عن اعتزازنا بكم وزهونا بما تهبونه لامتنا من رد للكرامة وفتح لابواب المستقبل . وقد سر لما سمع أولاد جيراننا يحدثونه عن الطيارين الاعداء الذين أسقطت طائراتهم حوالي دمشق . وقد قال له سمير ، سمير أنت تعرفه ابن جارنا في الطابق الثالث ، كيف رأى بعينه صاروخا من صواريخنا يصيب طائرة عدوة وكيف قذف الطيار نفسه وهبط بالمظلة ، وكيف رحلت الحارة كلها الى المنطقة التي فكرنا انه سيهبط بها . أم أحمد قالت ان حبال المظلة طويلة تبلغ اكثر من خمسين ذراعا ، ولكن جارنا عبد السميع قال لها انها أقصر .

نحن نحس أيها الغالي اننا نعيش أجمل أيامنا . لقد كان رأينا فيك دائما انك قادر على رفع رأسنا في الميدان . فلما كان يوم السادس من تشرين الاول هذا ، رأينا رأي العين مدى شجاعتك ونبالتك وشهامتك .

نبلغك تحيات أهل الحارة ودعواتهم بل تحيات وطنك . لا تهتم الا بشيء واحد هو ان تتابع انتصارك . أنت حتما عائد الينا ومعك النصر . فتعال سريعا حتى نفرح بك . اننا لا نفكر الا بك . قلوبنا كلها معك . أتعلم ان أولادك واخوتك وأهلك كلهم صاروا موضع حب الحي أكثر مما كانوا ؟ تصور ان ابنك فريد قال امس لرفيق له في الرابعة من عمره مثله ، في خيلاء حارة : « أنا أبي في الزبهة » ؛ ان فريدك على حق بادلاله . اننا كلنا ندل بك . ابو الياس الشاعر بدأ ينظم لكم قصيدة . وقد أسمعني بدايتها . انه يقول :

قل لابننا الجندي في ساح الوغى
مستقبل أنت ونور وسنى
من وجهك الذي يضيئه الوهج
من روحك الذي تفديه المهج
من وثبة كأنها الاعصار
أعادت الزهور الى الديار
نستلهم الصمود والثبات
ونعشق الحياة .
فيا ولدنا الحبيب ، عد الينا منتصرا .

البعث ٢٣ تشرين الاول